جُزر قرقنة التونسية:

التاريخ يروي مساراته ومزاراته

وضعت فعالية «صفاقس عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٦» جزيرة قرقنة ضمن مشروع «المسارات والمزارات» الذي يعد من المشاريع الهامة في برمجة العاصمة الثقافية، من خلال مهرجان جمع بين الطرافة والجمالية، حيث تابع سكان الجزيرة وزوّارها الذين يتوافدون إليها كل صيف بالآلاف عددا من العروض والمعارض والفعاليات التي تصبُّ كلّها في التعريف بتراث أرخبيل قرقنة وتجذّره في عمق التاريخ الإنساني.

وتعرف المزارات والمواقع الثقافية والأنشطة الفنية التي يزخر بها «مسار الأرخبيل» في جزر قرقنة أحلى فتراتها وانتعاشتها القصوى خلال فصل الصيف الذي تُصبح فيه قِبلة لعشرات الآلاف من الزوّار، وهي فرصة لإبراز عمق التراث المادي واللامادي فيها.

وسط ساحة بلدة «أولاد يانق» بجزيرة قرقنة وفي ظل حضور جماهيري كبير أقيمت فعاليات الدورة الثالثة من «مهرجان القُلّة» وهو مهرجان يعتمد أساسا على فنون الشارع والقرب أكثر ما أمكن من الجمهور، من خلال تقديم عروض فولكلورية من التراث الشعبي المحلّي قدمت في فضاءات مفتوحة، وهو الخيار الذي تراهن عليه تظاهرة صفاقس عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٦ حيث بكون الفعل الثقافي والتعبيرات الثقافية بشكل عام قريبة من الناس وتتوجه إليهم أينما كانوا.

ولأن «أولاد يانق» منطقة بحرية تتواجد في موقع استراتيجي مهم بالارخبيل القرقني ولان البحر جزء من الذاكرة والتراث القرقني فإنّ المهرجان تضمّن معرضا للحِرف والمنتوجات التقليدية المصنوعة من سعف النخيل إضافة إلى الأنسجة التقليدية مع عرض بعض الأكلات التي تختصُّ بها الجزيرة والتي تُصنع في المنازل وتعتمد منتوجات النخيل كمواد أولية لها، هذا بالإضافة لمعرض خاص بآلات الصيد الوفلاحة القديمةومستلزماتها.

عرس الطبل...

ومن الفقرات التي كان لها أثر كبير، وجمعت حولها الآلاف سهرة اليوم الأول والتي جاءت تحت عنوان «عرس الطبل»

حيث تنافست عدة فرق لتقديم وصلات غنائية من الفولكلور والتراث الشعبي.

وللطبل في جزيرة قرقنة حكايات تطول، وله مع الناس والحجر تاريخ طويل وقصص يحفظها الصغار قبل الكبار...

الطبل في هذا الأرخبيل التونسي الجميل ليس مجرد آلة إيقاعية تضفي حالات من السعادة والفرح على المتلقّي تقدم إيقاعات محليّة أصيلة ومتجذّرة في التاريخ، أو رمزا من رموز الأعراس والمناسبات السعيدة، بل هو يتجاوز ذلك ليكون جزءًا من الحياة اليومية للإنسان «القرقني»، ولكنّه تاريخ وأيام تداولها الناس منذ قرون، ما جعله يبقى حالة عشق متبادل وتأصيلا لعلاقة الإنسان بالفن...

برنامج المهرجان تضمّن أيضا ندوة فكرية محورها «الطبل في الفولكلور القرقني» إلى جانب فقرة من العرس التقليدي المحلّي تُسمّى «هروب قرقني» وهي الليلة التي تسبق ليلة الدخلة مباشرة وتمتاز بما يتمّ تقديمه من أغانٍ فلكلورية من قِبل فرقة نسائية، كما تلبس كل الحاضرات ومن مختلف الأعمار الأزياء التقليدية.

قُفّة البحر...

ومن فقرات المهرجان التي طبعت تجذّره وتأصّله، الرحلة البحرية على متن مراكب الصيد الشراعية تحت اسم «قُفّة البحر»وهي الملحمة اليومية التي تكشف عن جزء من شخصية الإنسان في قرقنة، بجولة بين المواقع الأثرية في الجزيرة تُسهم في تشكيل اللوحة الفسيفسائية القرقنية لأرض سكنها النوميديّون والرومان والإسبان والنورمان ويشهد على ذلك القبور والسراديب وبرج «ملّيتة وبرج الحصار...

ويعتبر برج الحصار الموقع الأثري الأبرز في الجزيرة والمصنّف من المواقع الهامّة بالنظر للحفريّات التي كشفت بجواره عن ميناء كبير مرَّ به القائد القرطاجنيّ حنبعل في رحلة فراره عبر البحر ولهذا المرور حكايات تُرْوَى تعتمد أساسا على صخرة «البو» وهي الصخرة الباقية من الموقع الذي وقف فيه حنّبعل مخاطبا جنده ومن ساانده من أهل الجزيرة حتى يخرج منها يسلام وفي هذا تُروى حكايات دوّنتها الكتب والذاكرة الشعبية.

أما نمط العيش والتراث المادي لأرخبيل قرقنة فقد حفظت الكثير منه طبيعة الحياة اليومية في الجزر، وقد نجح متحف العباسية في جمع جزء كبير منه وتشخيصه في لوحات تحاول الاقتراب في أدقّ تفاصيل حياة «القرقني» في البر والبحر الأمر الذي اِشتغل عليها طويلا عبد الحميد الفهري الباحث في ثقافة الجزر.

وتبقى قرقنة أرخبيل الشواطئ العذراء، حيث كل المسالك تؤدّي إلى البحر، وحيث تطلُّ في كل ركن منها أسطورة وحكاية، ويرتفع مقام وليّ وتمتدّ المياه فوق المياه لتشكّل لوحات بهيّة بين زرقتيْ البحر والسماء، ولتصبح تفاصيل الحياة اليومية مخزونا تراثيا يشكّل الحاضر ويبشّر بالآتي.

قرقنة أرخبيل يستلقي في هدوء على الضفة الجنوبية للمتوسّط يغري الزائر بالعودة مرّات ومرّات، ويدعو المولعين بكشف الأسرار والتنقيب عن الحكايات والأساطير للمقام الطويل.